23- عبدالرحمن الجيلالي – نفس المرجع – ص 323.

24- يحي بوعزيز – الأصالة – عدد 38 – ص 29.

25- نفسه – ص 29.

26- أحمد أبوزيد قصيبة – الأصالة – ص 62.

27- نفسه – ص 62.

28- نفسه – ص 62.

29- يحي بوعزيز – الأصالة – ص 31-32.

30- يحي بوعزيز – كفاح الجزائر –ص 257.

31- في الأصل "إلتقا".

32- يحي بوعزيز – كفاح الجزائر – ص 258.

33- نفسه – ص 259. (انسحب الأمير محي الدين من تونس إلى الشام، واستقرّ بمدينة صيدا قرابة عام)

34- أحمد أبوزيد قصيبة – الأصالة – ص 64.

35- عبد الرحمن الجيلالي – تاريخ الجزائر العام –ص 324.

من مصادر الثقافة والعلم:
فهارس الشيوخ أو برامج العلماء.

د.محمد صاحبي

عرفت الحضارة العربية الإسلامية أشكالا عديدة من المصادر في شتى مجالات العلوم والمعارف، لكنّها تصبّ في غالبيتها في نوعين أساسيّين, ينطلق كل نوع منهما من طبيعة وأهمية "المعلومات "التي يقدمها.

أما النوع الأول فيتضمن كل ما درج على تسميته بالمراجع العربية القديمة أو "مرجعيات التراث العربي الإسلامي"، والتي هي نتيجة من نتائج النشاط العلمي والفكري والديني عند المسلمين منذ بداية توثيق المعلومة العلمية والدينية والأدبية. وتدخل بين طيّاتها المعاجم والكتب الموسوعية ومعاجم التراجم والسّير(التاريخ) والمؤلفات الفلسفية والأدبية والعلمية الأخرى، وما إلى ذلك من مؤلفات مثل معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، و"رسائل إخوان الصفا"، و"تاريخ بغداد" للبغدادي، ومؤلفات الفارابي وابن سينا الفلسفية...

هذه المصادر التي لا يمكن لأي مشتغل في حقل الثقافة العربية الإسلامية من الاستغناء عنها، لأنها في تنوعها كما في تخصصها تميط اللّثام عن أكبر حركة معرفية وعلمية شهدتها البشرية قبل الآن.

وأمــا النوع الثاني الذي يشمل أيضا "كتب مصدرية ومرجعية" من طراز آخر[1]، فهو لا يقدم في الغالب معلومات علمية وتاريخية دقيقة أو مفصلة عن نشاط عقلي أو ديني أو أدبي إلا بالقدر الذي تتطلبه طبيعة المصدر وهدفه، ولذلك نجدها تهتم بالدرجة الأو لى برصد الإنتاج العلمي

---

* أستاذ محاضر في علم المكتبات- قسم علم المكتبات- جامعة وهران.

والفكري، وما إلى ذلك من كتب ومؤلفات مع ذكر تراجم أصحابها أحيانا وتقديمها مرتبة على أحرف الهجاء كما هو الشأن بالنسبة إلى "الفهرست" لابن النّديم أو "فهرسة مارواه عن شيوخه.." لابن خير الإشبيلي، أو "كشف الظنون" لحاجي خليفة على سبيل المثال، كما أنّ هناك في هذا النوع من المصادر توسعا واستطرادا يصل إلى حدّ التأليف في موضوعات بعينها كما هو الشأن بالنسبة لكتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا " للقلقشندي.

وهنا يجب الإشارة إلى أن ذكر هذه الكتب بالذات، وهي على سبيل المثال لا الحصر، إنما جاء للتأكيد على أنها تُمثل كل على حدة، مرحلة متميزة من التاريخ الثقافي العربي الإسلامي، فالفهرست الذيّ هو أقدم وثيقة في هذا النوع، تؤرخ للحياة العقلية عند المسلمين وغيرهم ممن عاشوا تحت مظلة الحضارة العربية الإسلامية إلى غاية نهاية القرن الرابع الهجري تقريبا، ولولاه لما استطاع المشتغلون في حقل الأدب والتاريخ والفلسفة وغيرها، التعرف على أسماء الكتاب ومؤلفاتهم، والشيء ذاته يمكن أن يقال عن "كشف الظنون" الذي يعكس صورة من صور الحياة الفكرية العربية الإسلامية حتى القرن الحادي عشر الهجري، أمّا القلقشندي الذي يتوسط العالمين، فتكمن أهميته في أنه في "صبح الأعشى" قد قدّم موسوعة ضخمة في أربعة عشرة جزءً، سجّل فيها الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية لمصر خلال القرون الوسطى (الإسلامية) ورصد من الأسماء والأعلام من مدن ومواضع جغرافية ومن المصطلحات، فضلا عن الوثائق والرسائل ما يجعلها من الكتب الهامة في هذا الميدان، ومن خلال ما تقدم، يمكن القول بأن هناك نوعين من المصادر والمراجع عند المسلمين يختلفان من حيث طبيعة تكوينهما ورصدهما للحقائق غير أنهما يتفقان من حيث الهدف وهو عملية إبلاغ أو تبليغ المعلومة العلمية و'التقنية'، بمعنى أن النوع الأول يدخل ضمن نتائج حركية الإبداع والإنجاز العلميين ويؤرخ لهما، في حين أن النوع الثاني يقوم بتسجيل مجمل ما توصل إليه الإنتاج العلمي والمعرفي، بقصد تسهيل عملية الإطلاع والتوثيق، وبالتالي المساهمة في رصد وقراءة الظواهر المتحكمة في سير المنظومة الفكرية والثقافية بشكل عام.

وهنا، يجب القول من الناحية التاريخية "التطوّرية" والكرونولوجية بأنه لا وجود للنوع الثاني بدون حضور وتواجد مكثف للأول؛ فالتضخم في الإنتاج المعرفي ممثلا في المؤلفات والرسائل هو الذي استدعى الكشف عن الوسيلة المنهجية للتعرف على ما سبق التحكم فيه للخروج بنظرية معرفية عامة ..

لقد عرف الغرب الأوروبي حديثا المصادر والمراجع وفرق بينهما من الناحية المنهجية والإجرائية، وكثّف عملية البحث والإستقصاء في ذلك، ضمن الحركة الثقافية والعلمية التي شهدتها أوروبا ابتداء من القرن الثامن عشرة الميلادي[2]. وكانت الرغبة في وضع حدود بين هذين النوعين من المصادر من بين الإهتمامات الأساسية القصد منها الاستفادة من النشاط العلمي والإنتاج المعرفي بشكل عام، لكنه لم يعرف من المصادر التي تحصي الأعمال والمؤلفات على غرار الفهرست إلا في غضون القرن الثامن عشر الميلادي، على الرّغم من مرور أكثر من أربعة قرون على عصر النهضة، الذي بدأ يتميز عن العصور الأوروبية السابقة بكثرة النشاط والتأليف. وذهب بعض الباحثين من أجل تفسير تأخر ذلك إلى غاية عصر الأنوار (القرن 18)، إلى الاستعانة بالفرضيات التي أتاحتها النظريات الفلسفية والإجتماعية. كما ربطوا بين عصر الأنوار الأوروبي وبين الموسوعة التي أنجزها "ديدرو" **DIDEROT**، وبين ذلك وبين ما أُطلق عليه اصطلاحا بالبيليوغرافيا **BIBLOGRAPHIE** أو البيبليولوجية **BIBLIOLOGIE**.[3]

لقد واصل المسلمون تأليف ما بدأوه من فهارس أو أثبات (من الثّبت) في إطار علم الحديث، حيث كان العالم يقوم بتسجيل رواياته في الحديث بالسّند (الإسناد)، والكتب التي قرأها، مثل صحيح البخاري وغيره من الكتب الستة المشهورة. كما يُسجّل شيوخه الّذين درس عليهم ولا سيما شيوخه في علم الحديث.

ولقد عرفت هذه الفهارس تطورا ملحوظا في المشرق كما في المغرب والأندلس، منذ القرن الثالث الهجري إلى غاية القرن الماضي (القرن الرّابع عشر الهجري) وكان يُقصد بهذه الفهارس التي اتخذت مصطلحات عديدة مثل : الأثبات، والبرامج، والمشيخات والمعاجم، والمسلسلات، والتقييدات، والإسنادات"[4]، تلك القوائم الّتي كان بها العالم المسلم يحصُر ويسجّل ويصف الكتُب التي درسها على شيوخه، سواء كانت بالقراءة أو السماع أو الإجازة وكانت هذه الفهارس (البرامج) تُتداول بين العلماء، ومّما يتفاخرون به فيما بينهم...

غير أن شغف علماء الأندلس بذلك، كان أكبر مّما كان عليه في المشرق، وشارك المتقدمون منهم والمتأخرون في إنتاجه مشاركة قوية، وحيثما كان الإطّلاع في كتب التراجم، وجدنا بين الحين والأخر قولهم "وله برنامج" أو "له فهرسة"، ويذهب شعبان خليفة الى القول بخصوص هذا النوع من البيبليوغرافيات "أنّ الغرب لم يعرفه، ولذلك لا نجد له مصطلحا غربيا مقابلا له.

أمّا عن عددها, فهي تقارب ثلاثة آلاف فهرست أو برنامج...[5]"لكن باحثا آخر، وهو عبد العزيز الأهواني, يقرّ بأن أكثر هذه البرامج أو الفهارس قد ضاع ولم يبق منها إلا النزر اليسير[6].

وتكمن أهمية هذه الكتب من الناحية العلمية، في أنها تُسهم في الوقوف على أهم مظهرين من مظاهر الثقافة في أثناء الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن السّابع الهجري، في كل من المشرق أو المغرب والأندلس... فهي في المظهر الأول تميط اللّثام عن حركة التعليم والتّدريس في الأندلس والمغرب خصوصا، وفي مظهرها الثاني تُلقي الضوء على المكتبة العربية، والنشاط التأليفي خلال تلك العصور المتفاوتة, كما تكشف عمّا يتصل بحياة الكتب في الأندلس، وصلتها بما كان يؤلف في المشرق، أو العكس، ذلك أن اسم الكتاب والسّند الّذي يذكره صاحب الثَّبت أو البرنامج، يجعلنا نقف على هاتين المسألتين، وأي أنواع العلوم "كان محتكرا أو شبه محتكر للمشارقة وأيهما كان وقفا على مؤلفين مغاربة وأندلسيين؟"[7]

وإن كان أصل هذا النّوع من الكتب، يرتدّ بوجوده إلى علم الحديث، ويحتفظ ببعض مصطلحاته وأساليبه، إلا أنه استقل عنه، وتفرّد بطابع خاص، يكمن في إسناد المرويات إلى العلماء والشيوخ، أي أنّ الهدف هو غير الهدف الذي وُجدت من أجله كتب المحدّثين الأوائل، الذين يسندون أحاديثهم إلى الرّواة الذين نقلوا عنهم؛ فالمرويات لم تعد كما كانت في السابق محصورة في الأحاديث النّبوية الشريفة وأسانيدها، بل تعدّتها إلى كل أنواع المرويات الأخرى، في علوم الدين واللّغة والأدب أو غير ذلك من أنواع "المرويات"..

أمّا عن العوامل التي دفعت بعض العلماء إلى كتابة برامجهم، فربّما يكون شعور الوفاء بين العالم وشيخه من جانب، وحنينه إلى عهد الدّرس والطلب من جانب آخر، سببا وجيها في ظهور هذا النّوع من الكتب، ويظهر هذا الأمر جليا فيما ذكره الرّعيني في برنامجه[8]، حيث يقول: "فأثبتّ ما لم يفلته ذكري، وأوردت ما لم يرتب فيه فكري، من أسماء الأشياخ الّذين لقيتهم وأخذت عنهم، والإفصاح ببعض ما استفدته منهم، وإن كان قد أتى على كثير من ذلك ما يختص به الإنسان من نسيان، وذهب معظم المُقيد والمُستفاد، بالتردّد في الأسفار والتحوّل عن الأوطان، وفرقته شذر مذر هوائج الفتن وحوادث الزمان (..) وممّا حثني على إثبات ذلك واكتتابه، وحداني إلى إيراده واجتلابه ما حدّثني به الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن أحمد الغافقي إذنا، قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى..قال سمعت القاضي أبا عليّ الصّدفي يقول: سمعت أبا محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي الإمام رحمة الله عليه يقول: يُقبّح بكم أن تستفيدوا بنا ثم تذكرونا ولا تترحّموا علينا..."[9]

وسواء أكان ما يذكره الرّعيني في مقدمة برنامجه، من الأسباب الرئيسية التي دفعته إلى كتابة ما كتبه أم لا، فإنّ الأكيد، أن ذلك قد ساهم في بروز المئات من هذا النّوع من الكتابات في المغرب والأندلس، وعرفت الجزائر نماذج عديدة منها يذكرها أبو القاسم سعد الله، طيلة الفترة الممتدة ما بين القرن السابع والثالث عشر الهجري، لكن الطابع الغالب عليها، كان لرواية الحديث خصوصا.[10]

كان منهج هؤلاء في كتاباتهم واحد، هو حفظ العلم والدين والشرف والنسب من الضياع، وهي "الطريقة المثلى في تواتر الأجيال والرّواة ودقة الحديث والرواية، وإذا انقطعت الأسانيد اضمحلّت المعرفة ودخل الزّيف؛ هكذا كانوا يعتقدون،[11] ولم يكن الجزائريون في ذلك مختلفين عن إخوانهم الأندلسيين، في غلبة علم الحديث عليهم، لكن هذا لم يمنع من ظهور من كان مهتما بغير ذلك، مثل الفقه والنحو والأدب كما سلف الذكر إلى ذلك.

طرائقها:

أمّا بالنسبة لأنواع هذه المؤلفات فهي متعددة، سواء من حيث الطرائق المتبعة في الكتابة والتأليف، أي التبويب والترتيب، أو من حيث إفراد المؤلف لهذا النوع من الضبط البيبلوغرافي-البيوغرافي كتابا من عدمه.

فأمّا من حيث الأمر الثاني، فقد عرفت كتابات البرامج أو الفهارس أو الأثبات صنفان: الأول أن يخصص العالم كتابا مستقلا في ذلك كما هو الشأن عند أبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الاشبيلي المتوفى سنة 575هـ أو عند الوادياشي (محمد بن جابر) التونسي، المتوفى سنة 749هـ.[12]

والأول: أن يختم العالم مؤلّفاته، بذكر فهرسه أو برنامج مشيخته كما عمد إلى ذلك أبو العباس أحمد بن أحمد الغُبريني (644-704ه) في كتابه المعروف بـ"عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" حيث أفرد لذلك القسم الأخير من مؤلفه المذكور، وأطلق عليه عنوانا لم يكن مختلفا عمّا ألفه علماء المغرب والأندلس في ذلك، وهو"برنامج المشيخة".

ثم قام عبدالرحمن بن خلدون (732-804هـ) بعد ذلك بتذييل كتابه الموسوم بـ"العبر" بفصل خاص حول نشأته ومشيخته وحاله، ذكر فيه عددا من العلماء الّذين أخذ عنهم العلم..

أما من حيث الطرائق في تناول موضوع البرنامج، من الصّنف الأول، على وجه الخصوص، فتكاد تصبّ جلّها في طريقتين اثنتين هما:

الأولى: هي أن يكتبه صاحب البرنامج أو الفهرس بنفسه، كضرب من ضروب التوثيق أو الترجمة لحياته العلمية. وكان المصطلح العربي المستخدم للتعبير عن هذه الطريقة هو "التخريج الذاتيّ" للفهرس، وفي هذه الطريقة نجد العالم يتحدث عن أساتذته بعاطفة شديدة ووفاء وتوقير يخلع عليهم من الصّفات والنّعوت الطيّبة الشيء الكثير إلى حدّ يصل لدرجة المبالغة..

ويمثل هذا الاتجاه فهرست أبي الحسن علي بن محمد الرّعيني المذكور آنفا، وفهرسة ابي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المُحاربي المتوفى سنة 541هـ بمدينة غرناطة[13].

الثانية: وهي أن يقوم شخص آخر بإعداد البرنامج نيابة عن العالم، وغالبا ما يكون تلميذه أو أباه أو أخاه أو صديقه. ويمثل هذا الاتجاه الذي يوصف بالتخريج غير الذاتيّ فهرس ابن عبد البر الذي خرّجه تلميذه ابن بشكوال وفهرس أبي علي الصّدفي الذي أعده له تلميذه عياض [14] وفهرس ابن أبي الرّبيع (عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الأموي الاشبيلي 599-688هـ) الّذي خرجه له تلميذه ابن الشاط (في حياة شيخه).

أما من حيث طريقة معالجة المادة العلميّة فتدخل في ثلاث فئات هي:

- الفئة الأولى: وهي التي يتم فيها تبويب الفهرس علي أساس الكتب، مرتبة حسب موضوعاتها، وتمثلها أدق تمثيل فَهرسة ابن خير الاشبيلي، وسنعرضه في إيجاز عند التطرق لبعض النماذج من هذه الفهارس, ثم برنامج ابن مسعود الخشني، وفهرس ابن حجر العسقلاني، وبرنامج أو مشيخة أبي العبّاس الغُبريني...

- الفئة الثانية: وهي الّتي يقوم صاحبها بترتيب المواد حسب الشّيوخ أو الشخصيات التي درس عليها. فيكون المدخل- بالمصطلح البيبليوغرافي-اسم الشخص الّذي يُترجم له، وقد عُرف ممن اتبع هذا الأسلوب, العديد من الشيوخ-العلماء, منهم على سبيل المثال لا الحصر، ابن عطية المحاربي التونسي الأندلسي والرّعيني. وفي هذه الفئة من الفهارس "يُبدأ بالمعلومات البيوغرافية (الترجمة) وتكون هي الغالبة الطاغية وتأتي المعلومات البيبليوغرافية (حول الكتب) في المرتبة الثانية (..) ومعظم الفهارس التي تحمل في عناوينها كلمة معجم تقع في هذه الفئة.[15]

غير أن في هذه الفئة من الفهارس، نجد أنها قد تباينت في ترتيب موادها فإتبعت بعضها الترتيب الهجائي الكامل، دون الإكتراث بمقام العالم أو تخصصه[16], والبعض الآخر اتبع الترتيب الهجائي مع بعض الشذوذ، كأن يبدأ أولا بالمحمدين (وهو المنهج الذي اتُبع في كتب التراجم[17]، ثمّ الترتيب الزمني حسب الوفاة، أو طبقا لتاريخ الأخذ عنهم أو الإلتقاء بهم[18] ويليه التّرتيب الجغرافي حسب مكان الّلقاء والدرس، وهذه الطريقة تبرز الأماكن التي تعتبر مراكز العلم ونوع العلم الذي انتشر فيها..

أما الرّعيني المشار إليه سابقا وبخلاف أقرانه, اتبع طريقة مختلفة عن كل ذلك، بحيث قسّم الشيوخ حسب العلوم التي اشتهروا بها، أو التي غلبت عليهم، فيبدأ بذكر "حملة كتاب الله العزيز المصدّرين لإقرائه"، ثمّ ينتقل إلى ذكر من لقيهم وأخذ عنهم ما يسّر له من مصنّفات الحديث ومسنداته وكتب الفقـــه، وبعد أن يفرغ من هؤلاء يورد النحويين والكتّاب وحملة اللّغات والآداب، ثم "المرتسمين بالكتابة والشّعر وحمل الأدب..[19]

ويدخل ضمن هذه الفئة أيضا، ما سطّره ابن خلدون في مشيخته[20]، حيث قام هو الآخر بترتيب المواد حسب الشيوخ هجائيا، مع بعض الشذوذ في الترتيب, لكنه وخلافا لسابقيه في مثل هذه الفئة، يتعرض لأخبارهم وأحوالهم ورحلاتهم وأسفارهم، وعلاقاتهم بحكام عصره، ولم يكتف ابن خلدون بذلك فقط، بل يذكر أيضا الكتب التي قرأها على أيديهم، كما في قوله: "..ودارست عليه (أبي عبد الله محمد بن سعد بن برّال الأنصاري) كتبا جمّة، مثل كتاب التّسهيل لإبن مالك ومختصر ابن الحاجب في الفقه، ولم أكملها بالحفظ، وفي خلال ذلك تعلّمت صناعة العربية على والدي، وعلى أساتذتي في تونس: منهم الشيخ أبوعبد الله بن العربي الحصايري، وكان إماما في النحو وله شرح مستوفى على كتاب التّسهيل، ومنهم أبو عبدالله محمد بن الشوّاش الزّرزالي..[21]

ويقول أيضا في موضع أخر: "وأخذت الفقه بتونس عن جماعة، منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجياني وأبو القاسم محمد القصير، قرأت عليه كتاب التهذيب لأبي سعيد البرادعي ومختصر المدونة وكتاب المالكية وتفقهت عليه".[22]

كما لم يبخل علينا ابن خلدون في سياق الحديث عن شيوخه وأساتذته بأخبارهم وشيوخهم هم أيضا، حفاظا على السّنة، على ما يبدو، كما في قوله عن أستاذه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، الذي كان شيخ العلوم العقلية "..أصله من تلمسان، وبها نشأ وقرأ كتُب التعاليم وحذق فيها، وأظلّه الحصار الكبير بتلمسان أعوام المائة السابعة فخرج منها وحجّ، ولقي أعلام المشرق يومئذ، فلم يأخذ عنهم لأنه كان مختلطا بعارض عرض في عقله، ثم رجع من المشرق، وقرأ المنطق والأصلين على الشيخ أبي موسى عيسى بن الإمام.."[23]

ويبدو أن أساتذة وشيوخ ابن خلدون كانوا كُثرا بحيث تعذر عليه ذكرهم كلّهم، إذ يشير في خاتمة مشيخته "هذا ذكر من حضرنا من جملة السّلطان أبي الحسن من أشياخنا وأصحابنا، وليس موضوع الكتاب الإطالة.."[24] أي الإقتصار بهذا القدر، فيرجع الى ما كان فيه من أخباره عن ولايته بتونس، ثم الرّحلة بعدها إلى المغرب..

الفئة الثالثة : وقد أتبعها عدد من مؤلفي البرامج والمشيخات، بحيث جمعوا بين الأسلوبين السابقين، في ترتيب المفردات مرّة على حسب أسماء الشّيوخ، ومرة ثانية على حسب أسماء الكتب، ويبدو أن الكتابة حسب هذه الطريقة كانت نادرة، ولم يعرف منها سوى عدد قليل من الفهارس، منها على سبيل المثال، ما نُسب إلى عُبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن أبي الرّبيع، المذكور سابقا وما يرجع إلى أبي عبد الله محمد بن جابر الوادياشي المتوفى في سنة 749هـ وغيرهما..[25]

أما البرنامج الأول، المعروف ببرنامج إبن أبي الرّبيع، والّذي كتبه تلميذه ابن الشّاط، في أثناء حياة شيخه[26] وعلى مسمع منه ومرأى، و"لكن الشيخ لم يتدخل في أسلوبه ومنهجه، وإنّما كان يُسأل عمّا قرأ فيجيب في قصد ودقة.."[27]

وينقسم هذا البرنامج إلى قسمين أساسيين: قسم أول بأسماء الشّيوخ وقسم ثاني بعناوين الكتب المدروسة، وقد رُتبت أسماء الشّيوخ في القسم الأول بأسبقية الدّرس عليهم، وقد بلغ عددهم إثنى عشر شيخا، أما القسم الثاني فقد ثبّت فيه الكتُب على المجالات المدروسة: قرءات، الحديث الفقه النّحو واللّغة والأدب: وتبلُغ أربعة وثلاثين كتابا، يضاف إليها ستة كتب وردت في القسم الأول.

وما يُلفت الإنتباه في هذا البرنامج، أنه صغير الحجم، سواء في عدد الشّيوخ، أو في عدد المرويات من الكتب ، وذلك على عكس بعض البرامج أو المشيخات، التي يذكر فيها أصحابها

عددا كبيرا من الشيوخ يصل إلىستمائة شيخ وعددا أكبر من الكتب، كما هو الشأن عند إبن خير الإشبيلي الّذي يصل ما رواه عن شيوخه من كتب إلى ألف كتاب.

إن هذا العدد الضنيل من الشيوخ والكتب المذكورة في برنامج ابن أبي الرّبيع، قد أدّى ببعض الباحثين إلى الإستغراب والدهشة، قياسا إلى برامج أخرى، ذات العدد الضّخم من الشّيوخ و1الكتب، لكن ذلك لن يكون معيارا لقياس منزلة العلماء، من ثوب ابن الرّبيع الّذي تذكره بعض التراجم، ومنها بغية الوعاة للسّيوطي، من أنه كان صاحب مؤلفات مشهورة..

ويذهب عبد العزيز الأهواني من أجل محاولة تفسير ذلك إلى الحياة العلمية لإبن الرّبيع نفسه، فقسّمها كما كان شائعا لدى مثقفي عصره إلى ثلاث مراحل (المرحلة الأولى: مرحلة الإبتداء التي يشترك فيها الولدان جميعا، فيتعلمون الخط والقراءة (..)، والمرحلة الثانية: هي الإنقطاع للعلم، رغبة في التخصّص، وإستعدادا لإتخاذه مهنة، وهي مرحلة طويلة، يؤخذ فيها الطالب بدراسة كتب (مقررة) على شيوخ مختصين، تقام حلقاتهم في المساجد، وفي هذه المرحلة جلس لإبن الربيع (..) ثم تأتي المرحلة الثالثة والأخيرة، وهي التي يأخذ فيها لإبن الرّبيع مكانه في حلقة الدرس مدرسا لا طالبا..)[28]، فالإختلاف بينه وبين ابن خير الإشبيلي الّذي تميّزت فهرسته بالضخامة، قياسا إلى عمل ابن الرّبيع، هو أن هذا الأخير قد ذكر مؤلفات المرحلة الثانية، بينما ذكر الإشبيلي جميع ما رواه عن شيوخه، خلال المرحلتين الثانية والثالثة، اللتين تتسمان بالإتساع والشمول والقراءة الحرة، بالنسبة للمرحلة الثالثة، والدقة في المقرّر بالنّسبة للثانية..

وعليه فإن برنامج إبن الربيع، وعلى الرّغم من صغر حجمه، فيمكن أن يكون مستندا مهما يؤرخ للحركة التعليمية، والتدريس في الأندلس خلال القرن السادس والسابع الهجريين، وبين ما كان رائجا من علوم وموضوعات، عند أقرانه من العلماء، ودرجة تعلّق علماء الأندلس بهذا العلم أو ذاك..[29]

لقد ذكر عبد العزيز الأهواني في مقالته عن كتب برامج العلماء في الأندلس فئة رابعة من هذه الفهارس، تتبع أسلوبا متميزا عن سابقاتها، لكن عدم وجود نص أو برامج يمثل هذه الطريقة والإكتفاء فقط بما سجّله إبن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة، وصفا لبرنامج لم يصل إلينا هو "بغية الراغب ومنية الطالب" لأبي الحسن بن مؤمن الفاسي المتوفي 598هـ، صرفنا ذاته،

أقرّ في نهاية نصّه المشار إليه، بأن ما هوموجود في ثنايا ترجمة إبن عبد الملك المراكشي عن ذلك يؤدي بنا إلى الإعتقاد بأن هذه (المشيخة) ليست ثبتا أو فهرسة أو برنامجا.

هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فإنّه من الطريف في مجال كتابة الفهارس أو البرامج أو المشيخات عند المسلمين، شرقا وغربا، أن ذلك لم يقتصر على العلماء والشيوخ من الرّجال فقط، بل تصدّى له أيضا النّساء من الأستاذات والشّيخات، فكان يمثل إتجاها فريدا في كتابة البرامج والمشيخات، خاصّا بالثقافة الإسلامية وحدها ؛ فأصدرت كثير من الشيخات الأستاذات فهارس لهن ذكرن فيها الكتب التي درسنها والشيوخ الذين درّسوا لهن، مثل «مشيخة أم زينب بنت عيس بن عبد السلام، ومشيخة أم محمد وجيهة بنت علي الإسكندرانية ومشيخة شهدة الكاتبة تخريج أبي محمد بن الأخضر وغيرها كثير جدا..[30]

الواقع إن ما سبق ذكره عن كتابة الفهارس والبرامج عند المسلمين، كان من الشّيوع والذّيوع إلى أن أصبح ظاهرة فريدة تميّزت بها الثقافة الإسلامـــية عن غيرها من الثقافات، وسمحت (ولاتزال) بالوقوف على الحركة الثقافية العربية الإسلامية، بشقيها التعليمي والتأليفي.

وقد أدّت هذه الظاهرة غير المسبوقة في تاريخ الثقافات، بالعديد من العلماء منذ القرن السادس الهجري، إلى محاولة ضبط هذه الفهارس والبرامج ضبطا ببيليوغرافيا يسمح من النّاحية التقنية والإحصائية، بالتّعرف على مجمل هذه الكتابات من جهة، ورصد أهم التيارات الفكرية والمذهبية المتحكمة فيها، من جهة أخرى؛ فكان أن قام إبن خير الإشبيلي في القرن السادس الهجري، بعد أن أستوفى موضوع فهرسته، بذكر سجل حافل لما رواه من كتب الفهارس الجامعة لروايات الشيوخ، والذي كتابه واحد منها..[31] وابن حجر العسقلاني المتوفى سنة **852**هـ الذي ذيّل فهرسه؛ فوضع فيه مروياته عن شيوخه المعروف بإسم "المعجم المفهرس"[32]، خصّصه من أجل حصر كتب الفهارس السابقة عليه، وقد رتّبها كرونولوجيا أو حسب تواريخ أصحابها، ويعدّ هذا الجزء أهم ما في المعجم من الناحية الحصرية لما سبق من الفهارس.

كما يوجد إلى جانب هذا الفهرس الحصري (أو بالمصطلح الحديث: ببليوغرافية- البيليوغرافيات) عددٌ آخر منه على سبيل المثال "عمدة الأثبات في الإتصال بالفهارس والأثبات" لأبي عبد الله محمد المكّي بن عزوز التونسي المعاصر لعبد الحي الكتاني، اللّذان عاشا خلال القرن الهجري الماضي، ثمّ "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات" لعبد الحي الكتّاني ذاته، غير أن لهذا الفهرس الأخير مكانة علمية كبيرة، تكمن في أنه يركز على أعلام المغرب العربي، ويغطي من الأعلام والشيوخ والفهارس، مما لم تتعرض له الفهارس ولا كتب التراجم والأعلام المتداولة قبله.

يقع الكتاب في سفرين كبيرين، الأول في أكثر من **440** صفحة، والثاني في أزيد من **490** صفحة، يُترجم فيهما لما يزيد عن خمسمائة محدث وشيخ، ويثبت لما يزيد عن مائتي مشيخة وفهرسة وثبت، وفي أثناء ذلك، يتعرض للمُحدّثين بصفة خاصة، وللعلماء بصفة عامة، بدء من القرن السّابع الهجري إلى الثالث عشر، وقد قدّم المؤلف لعمله هذا بأربعة مقدمات، الأولى ضمّنها ترجمة وافية للمؤلف رحمه الله (الشيخ عبد الحي الكتاني) وماله من مؤلفات في شتى فنون العلم، أمّا المقدمة الثانية فقد تعرض فيها للمُترجَم لهم وللأثبات التي يذكرها، يفرّق فيها بين الحافظ والمحدّث والمُسند، والثالثة في الإسناد وفضله والإجازة ودورها في إلحاق الأواخر بالأوائل، أما الرّابعة فقد خصّصها للوفيات أو التراجم وأهميتهما.

ثم شرع في الكتاب بادئا بحديث الأوائل، متبعا في ذلك التّرتيب الهجائي المطابق للترتيب المعمول به في المغرب العربي.(أ.ب.ت.ث.ج.ح.خ.د.ذ.ر.ز...) ثم بكتُب الأوائل (والأوائل هي كتب صغيرة الحجم وضعها أصحابها طلبا للإجازة؛ فكتبوا جملة من أوائل مجموعة من الكتب الحديثة خاصة)،[33] فالتّرجمة للمحدّثين، وقد بلغ عدد الفهارس التي حصرها الكتّاني في فهرسه **1225**, منها **662** بأسماء المُؤلفين، و**523** بعناوين الفهارس.. ولم يفوّت الكتّاني فرصة تعريف مصطلحاته أو المصطلحات المتداولة في هذا المجال، فذكر معنى المسلسل والثبت والفهرسة، والمشيخة والإجازة، وهي المصطلحات التي شملها عنوان الفهرس ذاته.[34]

– نموذجان من فهارس الشيوخ: لقد تم إختيار التطرق إلى نموذجين من كتب الفهارس والبرامج بناء على ما يلي:

أولا: من أجل إعطاء لمحة عن هذه الفهارس والبرامج التي تعد بالمئات.

ثانيا: إختيار نموذجين، أحدهما أندلسي هو فهرسة ابن خير الإشبيلي (**502-575** هـ)، وثانيهما مغربي (جزائري) هومشيخة أبي العباس أحمد بن أحمد الغُبريني (**644-704**هـ)، الّذي كتبه صاحبه في خاتمة كتابه المشهور باسم: "عنوان الدراية فيمن عُرف من علماء المائة السابعة ببجاية."[35] وذلك لأن هذا النّوع من الكتابات قد اشتهر بالمغرب والأندلس أكثر مما شاع بالمشرق..

ثالثا: إنّ اختيارهما قد تمّ أيضا على أساس تقني وعلمي؛ فأمّا التقني فمردّه إلى أن الفهرسة الأولى تمثل ما تحدثنا عنه سابقا حول بروز النّوع المستقل من هذه الكتابات، أي في شكل كتب مستقلة، بينما يُمكن عدّ مشيخة الغبريني من النّوع الثاني الذي ظهر مذيلا في الكتابات، كما كان شأن ما كتبه ابن حجر العسقلاني في خاتمة "المعجم المفهرس"... بالإضافة إلى أن ماعُرف واشتهر، بل وطُبع وانتشر بين الناس من كتب البرامج، كفهرسة ابن خير الإشبيلي، وكان ذلك على نطاق أوسع ممّا عرف عن نشر برنامج ابن أبي الرّبيع الّذي نشره عبدالعزيز الأهواني ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية".[36]

أما الأساس العلمي الذي كان وراء اختيار هذين "الفهرسين"، هو أن هذين العملين يُميطان اللّثام عن أكبر حركة تأليف شهدها الجزائر خلال القرن السابع الهجري، بالنسبة إلى عنوان الدراية، وأعظم مرحلة عرفتها الأندلس في حياة ابن خير الإشبيلي، أضف إلى ذلك بأن ما دُرس من الفهارس–على حدّ علمنا– كان من البرامج والفهارس المشرقية أكثر..

النموذج الأول: "فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة في دروب العلم والمعارف"، لأبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي..

ولد ابن خير في إشبيلية عام **502** هـ، وتوفي في قرطبة عام **575** هـ، وكان قد دفن بها، ثم جرى نقل جثمانه إلى مسقط رأسه، أما حياته، فما يعرف عنها إلا القليل، لكن الراجح أنه قضى جزء كبيرا من حياته في طلب العلم متنقلا بين إشبيلية وقرطبة والمرية وموررون وطريف وغيرها.[37]

ويبدو ذلك جليا من فهرسته الّتي يذكر فيها عدداً من مدن الأندلس، التي كانت مراكز علمية كبيرة، تجمع فيها عدد كبير من العلماء الّذين روى عنهم المئات من الكتب.

ويشير المؤلف نفسه في كتابه إلى إقامته زمنا في مدينة قرطبة عام **529** هـ[38]، وفي مدينتي المرية وموررون عام **563**هـ[39]. ثمّ في مدن أخرى بين هذين التاريخين، الأمر الذي يدفع إلى الإعتقاد بأن ابن خير الإشبيلي قد قضى حياته كلها– خلا السنتين الأخيرتين من عمره– في طلب العلم؛ فتتلمذ على يد أساتذة عديدين، منهم أستاذه العالم أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح (المتوفى **539** هـ) في أثناء فترة شبابه؛ وكوكبة أخرى من الأساتذة في كافة أنواع العلوم، مثل أبي القاسم عبد الرحمن بن الرّماك الأموي[40] والشيخ أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث في علم الحديث وغيرهم ..

اما عن الفهرسة ذاتها، فيظهر أن ابن خير لم يعمل سواها, إذ لم تذكر المصادر التي تناولت بعض ترجمته إلا هذا الكتاب.[41] ويبدو أيضا ممّا قاله "قدارة" أو "كوديرا" الذي وقف على نسخ وطبع ونشر الكتاب, أن ابن خير الإشبيلي قد ألف فهرستين إحداهما فيها ثبتٌ للشيوخ الذين أخذ عنهم، وفهرسة الكتب التي رواها عنهم, وذلك استناداً إلى ما ذكره ابن الأبار في ترجمة حياة ابن خير بقوله: "إنه كان يستعمل في زمانه برنامجا ضخما من أسماء المعلمين. ويشير في موضع آخر إلى هذا الكتاب، ثمّ يتابع كلامه أن ابن خير كان قد كتب رسالة يقول فيها إن فهرسته مؤلفة من عشر كراريس تتكون كل واحدة منها من **30** ورقة"...[42]. وقد تكرّرت هذه الإشارة في الفهرسة ذاتها لكن يبدو أن ذلك لم يصلنا.

أما فيما يخص عنوان المؤلف فتجدر الإشارة إلى أنه من وضع فرنسشكة قدّارة (أو كوديرا) وليس هو العنوان الأصلي الذي وضعه ابن خير الإشبيلي. وقد أخذ "المحقّق" ذلك من كلمات المؤلف وعباراته المبثوتة بالمقدمة التي وضعها, مثل قوله: "وإنّه ما لي سائلون ممّن له رغبة في العلم. وعناية بتقييده وهمّه في تحصيله أن أذكر لهم ماورويته عن شيوخي رحمهم الله، من الدوّاوين المُصنّفة في دروب العلم وأنواع المعارف, وأن أذكر أسانيدي عنهم فيها إلى مصنفيها...)[43].

وفيما يخص العنوان الذي وُجد في المخطوطة التي اتخذها قدارة أساسا لعمله في إخراج الكتاب إلى النور، فهو برأي المحقّق من صنع أحد ملاّك الكتاب، حيث كتب "فهرسة الإمام الشّهير ابن خير رحمه الله ورضي عنه" وليس من عمل النّاسخ، لانّ الحروف التي كُتب بها العنوان هي أحدث من الخط الذي كتب به الكتاب"[44].

لقد حرص ابن خير الإشبيلي في مقدمة الكتاب التي تقع في ثماني عشر صفحة على التوطئة لعمله، يذكر فيها الأسباب التي دفعته إلى تأليف الفهرسة، وعن فضل العلم وفائدته، والوسائل التي يتم بها نقل العلم، ولم ينس في سياق حديثه عن ذلك, شرح مصطلحاته ومصطلحات "تحمل العلم" وروايته حسب ما تقتضيه دراسة علم الحديث عند المسلمين ..

فعن الأسباب الّتي أدّت به إلى إنجاز عمله يقول: "وإنّه مالى سائلون ممّن له رغبة في العلم وعناية بتقييده وهمّه في تحصيله أن أذكر لهم ما رويته عن شيوخي رحمهم الله من الدّواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف وأن أذكر أسانيدي عنهم فيها إلى مصنّفيها وما قرأته من ذلك

وكُتب تراجم الشّعراء والُمغنين ودواوين وقصائد فردية, وقد بلغت في مجملها نحو مائتين وسبعين من المرويات من الكتب والأشعار.

وبعد أن يستوفي هذا الموضوع، يذكر سجلا لما رواه من كتب الفهارس الجامعة لروايات الشيوخ، وهوباب مهم حصر فيه عدداً ضخما من هذه البرامج وصل إلى خمسة وسبعين، منها ما هو معروف مثل برنامج الرّعيني[57] وفهرسة التّجيبي[58]، وفهرسة القاضي عياض بن عياض اليحصبي[59] وغيرها.

ولم يُعنَ ابن خير الإشبيلي في ذلك إلا بذكر الأسماء في سنده لمروياته ، وإن رام التوسّع ذكر ألقابهم ووظائفهم مثل قوله: "فهرسة الشيخ الفقيه القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي رحمه الله، روايتي لها عنه إذنا ومشافهة بالمرية حرسها الله."[60]

ولا يكاد يذكر الأماكن والتواريخ ألا لماما, كقوله في ترجمة النّفزي "كتاب فصيح الكلام لأبي العباسي أحمد بن زيد الشيباني، المُلقب بثعلب رحمه الله, حدثني به الأديب محمد بن سليمان بن أحمد النفزي رحمه الله سماعا عليه، في منزله بإشبيلية حتى قدومه علينا سنة **518**هـــ.."[61].

وفي ختام الفهرسة، أفرد ابن خير باباً صغيراً بعنوان: "باب تسمية الشّيوخ الّذين رويت وأجازوا لي لفظا وخطا ممن لقيته ومن لم ألقه رحمهم الله"[62]، ولكنّه باب لا يشتمل إلا على مجرد الأسماء مضافين إلى بلدانهم، مثل إشبيلية وقرطبة والمرية وغيرها...ولم يأت هذا الباب إلا بعد قيامه بتفسير الإجازة العامة، واتّخذ في سبيل ذلك ما طلبه من أبي الوليد بن رشد بقوله: "لّما إستخار الله تعالى شيخنا الفقيه القاضي أبو الوليد بن رشد رحمه الله في النّهوض إلى المغرب مبينا على عليّ بن يوسف بن تاشفين ما الجزيرة عليه، وأزمع على التوجه أول ربيع الآخر من سنة **520**هـــ، سألته غداة يوم الإثنين (..) أن يجيزني جميع ما يحمله من الكتب المؤلفة في ضروب العلم بأي وجه عمل ذلك من قراءة أو سماع أو مناولة أو إجازة (...) فتبسّم واستغرب هذا السؤال ثم قال لي منشرح الصدر طلق الوجه ظاهر التبسّم: نعم، قد أجزتك ذلك كله ولجميع ما سألت (..) فشكرت الله تعالى وشكرته على إجابته[63]

وإجمالا، يمكن القول بأن فهرسة ابن خير الإشبيلي وإن اتسمت في الغالب الأغلب بورود أسماء الكتب دون السّبيل إلى معرفة حياتها, إلا أنّها وثيقة هامة عن حركة التأليف والمكتبة العربية بالأندلس، ثمّ إنها بالإضافة إلى ذلك, هي مستند تاريخي وثقافي, يسهم إسهاما خطير الشأن في التعرف على أصحاب المخطوطات المتناثرة هنا وهناك بين المكتبات الأوروبية والإسلامية، ذلك لأنه من المشكلات التي تعترض سبيل المُحَققين، خلو بعض المخطوطات من الصفحة التي عادة ما نصادف فيها اسم مؤلف المخطوطة، ومشاكل أخرى من هذا القبيل ..

النّموذج الثاني : وسوف يكون الحديث فيه عن "برامج مشيخة الغبريني"، والذي يتميّز عن البرامج السابقة، من حيث كونه جاء متصلا أو ذيلا لكتابه المشهور: "عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"[64].

أما صاحب هذا الكتاب فهو القاضي أبو العباس أحمد بن أحمد الغُبريني، المولود ببجاية أو بني غُبرين سنة **644** هـــ[65]، وإذا كانت المصادر تكاد تتفق حول تاريخ مولده، فإنّها تختلف حول تاريخ وفاته، حيث يذكر الزّركلي بأن ذلك كان سنة **714**هـــ، في حين أن ابن خلدون يقول بأن وفاته كانت سنة **704**هـــ، رابطا بين ذلك وبين ما حدث للغُبريني في أثناء سفره إلى تونس بقوله:

«ولّما تولّى السّلطان أبوالبقاء خالد اعتزم على المواصلة مع صاحب تونس قطعا للزبون عنه، وعين للسّفارة في ذلك القرابة لحكم المواصلة بينه، وبعث معه القاضي أبا العباس الغبريني كبير بجاية (..) فأدّوا رسالتهم وانقلبوا إلى بجاية، ووجد بطانة السّلطان السّبيل في الغُبريني، فأغروا به وأشاعوا أنه داخل صاحب الحضرة في التوثّب بالسلطان (..) وما كان منه في شأن السلطان أبي إسحاق, وأنه الذي أغرى به بني غبرين، فاستوحش منه السلطان، وتقبّض عليه سنة **704**هـــ، ثم أغروه بقتله فقتله بمحبسه سنته تلك ..»[66]

ويظهر مما كُتب عنه هنا وهناك، أن الغُبريني ينتسب إلى أسرة عريقة في العلم والقضاء تنحدر من بني غبرين بأحواز العزازقة من بلاد القبائل الكبرى، حيث نبغ فيها غيرُ المؤلف، عددٌ من الأعلام، ترجم هو ذاته لاثنين منهم في "عنوان الدراية" أحدهما : أبو النّجم هلال بن يونس بن علي الغبريني، وثانيهما أبو محمد عبد الحق بن يوسف حمامة الغُبريني.

وتكمن أهمية ما كتبه أبو العبّاس الغبريني، سواء في عنوان الدّراية، أو في برامج مشيخته, في أنه يؤرخ للحياة العلمية والثقافية لإحدى أهم مدن الجزائر آنذاك، وهي بجاية خلال القرن السّابع الهجري، حيث استطاعت أن تستقطب بما كان لديها من مساجد ومراكز تعليمية عددا كبيرا من العلماء، في ميادين مختلفة من العلوم.[67]

أما عن برنامجه، فيمكن القول بأن الغبريني قد ابتدع طريقة قلّما نجد لها مثيلا في فهارس من سبقه من العلماء بحيث سار، بالإضافة إلى ما عُرف عن التبويب على أساس الكتب (مرتبة على

حسب موضوعاتها إلى تصنيف آخر، يأخذ في الإعتبار تقسيم العلوم ذاتها، مبنيًا على فلسفة علمية واضحة.

فهو يبين الهدف المنشود من (المشيخة) هذه بقوله: "وإني أردت لمّا أتيت على ذكر ما شرطه ذكر علماء المائة السابعة، ومن انضاف إليهم فيمن كان في آخر المائة السادسة، نفع القارئ لهم، (...) أن أذكر بعد ذلك طريقة استفادتيّ ممّا إستفدته ووجه تلقيّ ما تلقّيته من العلم وروايته، ليتبيّن لمن له أرب، وليجده منظوما كيف يريد من له عليه بحث وطلب.."[68]

ويقسم مادة البرنامج إلى صنفين من العلوم: "أحدهما علم الدّراية، والآخر علم الرّواية"، أما الدّراية فهي كما يقول: "جملة العلوم التي أحتاج إلى ذكرها في هذا الموضوع يحصل الدر[illegible] علم الفقه، وعلم الأصلين، أصول الدين وأصول الفقه وعلم العربية، وعلم التصوّف ونحوه.."[69]

أما علم الرّواية فهو العلم الذي حصل للمؤلف عن جملة من شيوخه مثل الشيخ أبي عبد الحق بن ربيع الأنصاري، وأبي محمد القيسي وغيرهما، ويُشترط في هذا النوع، إتصاله والرّواية، أو بعبارات المؤلف: "..وها أنا أذكر من ذلك ما هو ضروري من حال أساتذتي رضي الله عنهم رحمهم الله تعالى على الوجه الأعم الشامل لحصول الرّواية بأيّ وجه حصل أو بناء على اتصال الإسناد، وأذكر منهم معظم ما يقصد من المرويات وما يراد، والمقصود بالعلم الذي يعتني به اللّبيب ويلّم، هو علوم تفسير القرآن العزيز، وعلوم الحديث، وروايته وعلم العربية، وعلوم التصوّف والتذكير..."[70]

ورغم أن الغبريني، القاضي والحافظ، "الفقيه المحدّث، الجليل الفاضل والمؤلف النذير" حسب تعبيره، يدرك كغيره من علماء عصره، حدود العلوم وماهياتها، إلا أنه يبدو للقارئ في تقسيمه إلى نوع يخضع للدّراية وآخر للرّواية، قد جانب الصّواب عند ما كرّر علم العربية وعلم التصوّف في الصّنفين معا. والحقيقة أن النّوع الأول، أي الدّراية في نظره، يشمل العلوم ذات الدّراية[71] والرّواية، ذلك لأن هذه العلوم وهي: علم الفقه، وعلم العربية، وعلم التصوّف يهتدي إليها الإنسان بفكره، كما يمكن أن يقف عليها بسلسلة الأسانيد والأخبار.

وعلى كلّ، عندما يوضّح الغبريني كيفية تلقيه علم الفقه بقوله: "أمّا علم الفقه فإني تلقيته عنهما وتبسّطا بالقراءة على الفقيهين أبي محمد عبد العزيز القيسي، وأبي محمد

عبدالله بن عبادة، قرأت عليهما وسمعت منهما، وتفقهت بهما ولا زلت أحضر مجلسهما للإستفادة والنفع.."[72]

هذا من جهة، أمّا من جهة أخرى، فإنّ النّوع الثّاني في هذا التّقسيم، قد أخذ الجانب الأهم من برنامج الغبريني، بحيث خصّ الأول (أي الدّراية) بأربعة صفحات فقط، من جملة سبع عشر صفحة، في حين أن علوم الرّواية، قد شملت ما تبقّى من ذلك. وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أهمية العلوم النّقلية المُسندة في حياة العلماء المسلمين في تلك الفترة. ولم يكن شأن الغبريني في ذلك إلا كما كان شأن صنّاع البرامج والفهارس، الذين أخذوا من منهجية الإسناد، والجرح والتعديل، ومن علم الحديث، مطيّة للتأريخ العلمي والتعليمي والتأليفي..

إن ما يمكن ملاحظته، من النّاحية المنهجية، في ترتيب مواد البرنامج، أن الصّنف الأول، قد غلب عليه ذكر الشيوخ والأساتذة، الّذين أخذ عنهم الغبريني. وقد بلغ عددهم حوالي ثلاثة وثلاثين شيخا بين فقيه وعالم لغة، في حين أن عدد الكتب، (وذلك بالقياس إلى الأساتذة)، كان قليلا لا يتعدّى في مجمله العشرة كتب، وتفسير ذلك، ربّما يرجع إلى أن الغبريني قد ركّز على طريقة الإستفادة والقراءة والتعلّم من لدن الشيوخ أكثر من أي شيء آخر، كما في قوله عن تحصيله لعلم الفقه: "وأما شيخنا أبومحمد عبد الحق بن ربيع، فكثرت الاستفادة منه، والبحث والمباشرة والتكرار في أكثر الأزمنة، وإلقاء الصّعاب وحلّها بالكتب والمجاوبة حتى جرى ذلك مجرى الدّرس.."[73]

ويقول في موضع آخر، عن علم العربية وشيخه أبي الحجّاج بن سعيد: "...فقرأت عليه وأعربت وسمعت بقراءة الحاضرين، وكان ميعاده مشحونا بالطلبة، والذي يقرأه هذا غير الذي يقرأه هذا، والذي يعربه هذا غير ما يعربه هذا، فوقع الإنتفاع به بالقراءة والسماع..."[74]

غير أن الصّنف الثاني من البرنامج كان أكثر حظا من الأول، حيث ذكر أبو العبّاس في العلوم الخمسة المدرجة فيه مالا يقل عن ثمان وأربعين كتابا جامعا في الفقه، والحديث واللّغة وغيرها، وضعف هذا العدد من الشّيوخ والأساتذة.

وبعكس الاقتضاب الّذي تميّز به الغبريني في الجزء الأول من هذا البرنامج، فإنّه كان في الجزء الثاني منه أكثر استطرادا وأغزر إعلاما، حيث ذكر بالإضافة إلى الكتب ومن حدثه فيها من الشيوخ، ترجمة بعض العلماء والفقهاء، مثل ترجمته للإمام مالك صاحب الموطأ والإمام مسلم

صاحب المسند، وغيرهما، كما في قوله عن ترجمة ابن العربي: "...وخرج إلى الحجّ مع أبيه يوم الأحد مستهل ربيع الأول من عام خمسة وثمانين وأربعمائة (485هـ) وسنه يومئذ سبعة عشر عاما, وكان قد تأدّب وقرأ القراءات فلقي شيوخ مصر (..) وتوفي رحمه الله عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة أوجب الله له الجنة... "[75]

وزبدة القول عن برنامج مشيخة الغبريني، أن لكتب البرامج عامة، سواء تلك التي ألّفها أصحابها مستقلة مثل فهرسة ابن خير الإشبيلي أو متصلة بعمل مثل برنامج الغبريني، من الفهارس والبرامج التي لا تسهم في إماطة اللثام عن الحركة الثقافية والتعليمية والتأليفية وحسب، بل تقدم أيضا أخبارا علمية خطيرة الشأن بالنسبة للباحثين سواء تعلقت بأخبار التأليف أو المؤلفين. وهي بذلك تشارك إلى جانب كتب الضبط البيلوغرافي الأخرى، مثل كتاب (الفهرست) أو (كشف الظنون) في التعرف، بشكل شامل عن مجمل النشاط العلمي والفكري والتقني، الّذي مّيز حركة التاريخ الثقافية الإسلامية عبر العصور ..

الهوامش :

1- ليس بين المصدر والمرجع مسافة لغوية، إذ أنهما يشتركان من حيث الدّلالة في المنبع، غير أن الأو ل أخص من الثاني من حيث إرتباطه بالأشياء الأساسية. ويأتي هذا المصطلح الحديث من الترجمة الأجنبية لكلمة **SOURCE**. ويعني المصدر مثلا في علم الحديث كتب الأحاديث نفسها، وفي التاريخ الأعمال التي عايش كتّابها الأحداث أو اعتمدوا فيها على الوثائق مادية كانت أو شفوية. .أما المرجع الذي تقابله لفظة **REFERENCE** فهوالدراسة التي تعالج موضوعا ما بالاعتماد على المصدر.. 2)- بدأ التطرق في أوروبا إلى هذا الأمر مع إنجاز موسوعة "ديدرو" ..راجع ذلك

.- Pallier denis et Masson andre:Les bibliotheques- col. que-sais-je? - p.u.f

3)- البيلوغرافيا في الأصل كلمة يونانية، تتكون من لفظتين هما: **BIBLIOS** أو **BIBLION** ومعناها الوثيقة المكتوبة أو الكتاب، ومنها الكتاب المقدس **La Bible** أما غرافيا: **Grapho** ومعناها "يكتب". وبالتالي أصبحت كلمة بيلوغرافيا تعني الكتابة أو تسجيل الكتب، إلى أن تغير معناها خلال القرن 18 لتصبح دراسة الكتب القديمة المخطوطة, ثم " الكتابة عن الكتب "، للتعبير عن الجانب المادي لمفهوم الوثيقة المكتوبة وترتيبها. أما لفظة **Bibliologie**، فتشكل هي أيضا من كلمتين: بيبليوس, ولـوجيا **Logie** بمعنى العلم لتؤدي معنى علم الكتاب. وإذ يبدو هذا التمييز شبه واضح عند الباحثين الأوروبيين "الفرنوكوفونيين" فإنه غير ذلك عند غيرهم من الأنجلوساكسونيين ,فقد تعني البيلوغرافيا البيليولوجيا والعكس صحيح ..

للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع أنظر مقالة :

la . bibliographie- in Encyclopédie : les sciences de l'écrit. AIB . PARIS. 1993 P . 548

Meyriat Jean.

4- استعمل المغاربة والأندلسيون من تلك المصطلحات ما يلي: فهرسة، فهرس، برنامج، مسلسل، مشيخة..[1]

شعبان عبد العزيز خليفة، البيليوغرافيا أو علم الكتاب، ص149.

عبد العزيز الأهواني، "كتب برامج العلماء في الأندلس" مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، المجلد الأو ل،[1] الجزء الأول، ماي 1955، ص91.

7- المرجع نفسه، ص93.

8- هوأبوالحسن علي بن محمد الرعيني الاشبيلي المتوفى سنة 666هـ، صاحب البرنامج المعروف باسمه أي برنامج الرعيني، الذي يسجل فيه من أخذ عنهم مصنفات الحديث ومسنداته وكتب النقد ويتبع هؤلاء بشيوخه النحويين والكتاب وحملة اللغات والآداب..

9- عبد العزيز الأهواني، المرجع السابق، ص93-94.

10- أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت:دار الغرب الإسلامي، 1998، ج2، ص31-38، والجزء السابع، ص48 – 54. وكان من بينهم: محمد التنسي وابن مرزوق المعروف بالكفيف، ومحمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي وأحمد الونشريسي وغيرهم.[1]

11- المرجع نفسه.ص37-

12- بينما قام الثاني، (ابن خير الإشبيلي) بكتابة مؤلفه المشهور: فهرست (ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف..). . .

13- ويوجد هذا النوع في كل من برامج (فهارس) السمرقندي (أبومحمد عبد الله بن أحمد المتوفى سنة 516هـ) ومشيخه طه زادة الحلبي (المتوفى 1137هـ)، وفهرسة ابن خير الإشبيلي، وغيرهم..

14- هوالقاضي عياض (أبوالفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي) وقد ذكره ابن خير الإشبيلي في فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق الشيخ فرنشكة قداره زيدين ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1997، ص196.

15-شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق، ص171.

16- كما هوالشأن في "معجم الشيوخ ابن زادان" لأبي بكر محمد بن ابراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان المتوفى سنة 380هـ، ومعجم الحافظ المبارك بن عبد العزيز الأزجي المتوفى 549هـ.

17- وقد اتبع هذا النهج عمر بن أحمد بن علي الحلبي الشماع الشافعي المتوفى 936هـ، ومحمد عبد الحق ابن عطية المحاربي الأندلسي (توفي 541هـ) وغيرهما.

18- ومنها: فهرس تاريخ وفاة شيوخ البغوي، لأبي القاسم عبد الله بن المرزبان البغوي المتوفى سنة 310هـ، و"وفيات الشيوخ" لأبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات المتوفى سنة 384هـ.

19- وقد كان هذا الترتيب غالبا على جلّ "فهارس الشيوخ" الأندلسية، مثل "برنامج المجاري" (أبوعبد الله محمد المجاري الأندلسي المتوفى في 862هـ والذي يبدأ بشيوخه في غرناطة ثم شيوخه في تلمسان ثم شيوخه في بجاية فشيوخه في تونس ومصر.– راجع: عبد العزيز الأهواني "كتب برامج علماء الأندلس." ص103.

20 – وقد أفرد ابن خلدون لذلك حوالي أربعين ورقة (صفحة)، كانت ضمن ما أطلق عليه محقق الكتاب عنوان "نشأته مشيخته وحاله" راجع ذلك في كتاب العبر، دار الكتاب اللبناني، 1959، د.ت، المجلد السابع، ص809-849.

21- المصدر نفسه، ص810-811.

22- المصدر نفسه، ص812.

23- المصدر نفسه، ص814. كما يستشهد ابن خلدون في ذلك بالعديد من الأبيات الشعرية، التي قالها بعض شيوخه في بعض مناسبات رحلاتهم أو تحصيلهم العلمي؛ كما في قوله عن أبياتِ شعر لشيخه: أبي العباس أحمد بن شعيب المتوفى سنة 750هـ.

بالغرب لي سكن تأوبني * من ذكره سُهدٌ على سُهد
فرخان قد تركا بمضيعة * زُويَت عن الرُّفداء والرِّفد.

24- المصدر نفسه، ص848.

25– يذكر كل من عبد العزيز الأهواني، وشعبان عبد العزيز خليفة في المرجعين المذكورين سابقا، عددا قليلا ممن اتبعوا هذا الأسلوب، منهم على سبيل المثال: محمد بن عبد الملك بن علي القيس المنتوري الأندلسي المتوفى سنة 834هـ، وأبوزكريا يحيى السراج، المتوفى سنة 805هـ.

26– لقد ذكره السيوطي في بغية الوعاة، ص369، قائلا:" وكان إمام أهل النحو في زمانه، وجاء الى سبتة لما استولى المسيحيون على إشبيلية.." وذكر له أيضا بروكلمان عددا من المؤلفات: كتاب المختصر في النحو، والقوانين النحوية وغيرهما، وهي عبارة عن مخطوطات في مكتبة الأسكوريال بمدريد بإسبانيا.

27–عبد العزيز الأهواني، المرجع السابق، ص113، وقد نشر الأهواني برنامج ابن أبي الرّبيع، من واقع النسختين المذكورتين في مجلة معهد المخطوطات العربية لسنة 1955. مجلد أو ل، الجزء الثاني.

28.– عبد العزيز الأهواني، المرجع السابق، ص115. أمّا بالنسبة لبرنامج الوادياشي المذكور في هذه الفئة، فقد عرف صاحبه منهجه في الترتيب بقوله:" وجعلته له في جزئين كما أمل، في أحدهما أسماء الشيوخ وأنسابهم وكناهم، وما أمكن من ذكر مواليدهم ووفياتهم وأناشيدهم، وفي الآخر ذكر المأخوذعنهم.." فكان هذا البرنامج– كما قال عنه الأهواني– كما لوأننا أمام كتابين في كتاب واحد: كتاب ترجمة في النصف الأو ل ثم فهرسة مرويات في النصف الثاني، المرجع، ص106–108[1].

29– وبالفعل، فإن إلقاء نظرة سريعة على البرنامج المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية، لسنة 1955. تسمح للقارىء بالخروج بعدّة ملاحظات منها: أن التاريخ لم يكن من العلوم الرسمية في حلقات الدّرس، وكذلك الشأن بالنسبة للجغرافية، والفلسفة والعلوم القديمة مثل الطب والفلك والرياضيات.

30– شعبان عبد العزيز خليفة، البيبليوغرافيا أو علم الكتاب، ص178. كما شهدت كتابة البرامج أيضا نوعا آخر، اقتصر فيه بعض العلماء على ذكر أستاذاتهم من النساء مثلما هوالشأن بالنسبة الى "معجم النسوان" لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر المتوفى سنة 571هـ.

31– سوف يكون الحديث عن ذلك إن شاء الله في أثناء التطرق إلى ابن خير الإشبيلي وفهرسته..[1]

32– وردت هذا المعجم تسميات مختلفة، منها:"كتاب تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة المسمّى بالمعجم المفهرس"، وقد ذكر عبد الحي الكتاني في "فهرس الفهارس" ذلك، بعناوين مختلفة هي: "كتاب فهرست مرويات شيخنا.."و"معجم شيوخه وفهرست مروياته" و"المجمع المؤسس للمعجم المفهرس". راجع ذلك في: فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للشيخ الحافظ عبد الحي الكتاني، فاس، المملكة المغربية، 1346هـ، (جزءان).

33– كمثال لكتب الأو ائل، أو ائل العجلوني المذكور في "الفهرس"، وهوكتيب في أقل من أربعين صفحة من القطع المتوسط، جمع فيه صاحبه الحديث الأو ل من أربعين كتابا حديثيا..

34– المسلسل هوأن تسلسل الحركة أو القول عن كل راو، وكمثال على ذلك المسلسل بالقبض على اللّحية مثلا، فإن كل راو يقبض على لحيته كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

– أمّا الثبت، (بفتح الثاء والباء)، فهوكتاب يودعه صاحبه كل ما روى عن شيوخه بالإجازة الخاصة والعامة. –الفهرسة، وهوكتاب يودع فيه صاحبه كل من روى عنهم، وقد يضمنه وفيات شيوخه ومؤلفاتهم، وبعضا من مأثوراتهم.

– المشيخة: كتاب يُضمّنه تراجم الشيوخ الذين أخذ عنهم. الإجازة: وهي إذن كتابي أو شفوي في الحديث بكتاب أو تدريس علم من العلوم. مثال ذلك أن يجاز الطالب بصحيح البخاري، وهوأن يأذن له شيخه بتدريس صحيح البخاري وليعطيه سنده في الكتاب منه إلى البخاري.. وعلى أساس هذه المصطلحات، تعدّدت أنواع الكتابة في هذا المجال؛ فكانت إحدى صور الثقافة العربية الإسلامية.

[1] 35– على أنّ هذا الكتاب "عنوان الدراية" للغبريني(يمكن) وضعه في قائمة الكتب البيبليوغرافية التي تؤرخ لأهم مرحلة من مراحل الجزائر الثقافية خلال القرن السابع الهجري، ذلك لأن هذا المؤلف، قد اعتنى بالإضافة إلى العلماء، بالكتب والمؤلفات العلمية التي اشتهرت آنذاك..

36– لقد ذكر سابقا أن برنامج ابن الربيع (599–688) قد نشر في مجلة المخطوطات العربية لسنة 1955، من واقع نسختين خطيتين، هما نسخة المكتبة البريطانية في لندن، ونسخة مكتبة ديرا الأسكوريال بإسبانيا، وذلك بعناية الأستاذ عبد العزيز الأهواني.. ولم يظهر هذا البرنامج مستقلا كما هو شأن فهرسة ابن خير الإشبيلي..أمّا ماعداهما من البرامج، فهونصوص متناثرة هنا وهناك، في كتب التراجم، أو المخطوطات...

37– in encyclopédie de l'islam-tome 3-p.1233

38– ابن خير الإشبيلي، فهرسة ما رواه..، وقف على نسخها وطبعها فرنسشكة قدارة. ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1997، ص: 245.

39– المصدر، ص424[1]

40– المصدر، ص333.

41– مثل الحلة السيراء لأبن الأبار، أو تذكرة الحفاظ للذهبي؛ وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان..

42– فرنسشكة قدارة زيدين، مقدمة الطبعة الأو لى، ص: ك ول.

43– إبن خير الإشبيلي ، المقدمة ص 6

44 – قدارة، مقدمة الطبعة الأو لى، ص: ي.

والجدر الإشارة إلى أن المخطوطة من مكتبة الأسكوريال بمدريد تحت رقم 1672، وتتألف من 155 ورقة مكتوبة بخط أندلسي واضح، في كل صفحة 23 سطرا، والورق سميك، ومنسوخة سنة 712هـ، نشر الكتاب (الفهرس) سنة 1893 سيرقسطة بمطبعة قومش، بعناية فرنسشكة قدارة وتلميذه خليان ربارة طرغوة، مع مقدمة باللغة اللاتينية، وقد أعيد نشره مع ترجمة للمقدمة إلى اللغة العربية بإشراف زهير فتح الله سنة 1963 في القاهرة وبيروت وبغداد في وقت واحد عن طريق مؤسسة الخانجي، ثم صوّر تصويرا طبق الأصل ونشر سنة 1979 في بيروت في سلسلة ذخائر العرب وأعيد نشره مؤخرا في سنة 1997 عن مؤسسة الخانجي.

45– لابن خير، المصدر، ص 6–7.

46 –المصدر نفسه، ص 8.

47– المصدر، ص 12.

48– المصدر، ص 12.

49– المصدر، ص 13.

50– المصدر ص 16–18.

51)– 52– المصدر السابق، ص 18–19

53– لما في ذلك الرسائل الصغيرة، والقصائد الفردية وعلى هذا الأساس نزل عدد المرويات عند محقق الكتاب فرنسشكة قدارة إلى 1040كتابا، لكنه بقي هذا العدد من الكتب تقريبا فيما ذكرته دائرة المعارف الإسلامية أي 1400 كتابا.

54– يقع الكتاب كله (أي ما وضعه إبن الخير في أربعمائة وثلاث وستين صفحة 463) ومابقي من الصفحات التي تبلغ 125 صفحة فهوعبارة عن فهارس للكتب والمؤلفين والأماكن من وضع محقق الفهرسة فرنسشكة قدارة.)

55 – وقد لاحظ ذلك أيضا الأستاذ عبد العزيز الأهواني في أثناء حديثه عن كتب برامج علماء الأندلس.

56– المصدر، ص 305

57– المصدر، ص427

58– " ص434

59– " ص 437

60– المصدر , ص 456

61- المصدر, ص336

62- المصدر، ص 403

63- المصدر,ص403 .

64 – من تحقيق رابح بنوار، ط2، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، سنة 1981م، ويختلف هذا الكتاب عن (برامج المشيخة) في أنه يترجم لعلماء بجاية الأصليين أو الوافدين عليها، خلال القرن السابع الهجري، غير أنه خرج عن هذا النطاق فذكر بعض علماء القرن السادس الهجري، كأبي مدين، وابن علي المسيلي وغيرهم ..

65 – الزركلي، الأعلام، ج1، ص 88[1]

66- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص.719 .(ويشير إلى هذا التاريخ أيضا, أبوالقاسم الحفناو ي في "تعريف الخلف برجال السّلف" ج1.ص 25.

67- ينقل ابن بشكوال (أبوالقاسم خلف بن عبد الملك 494-578) عددا كبيرا من أسماء العلماء الجزائريين (المغرب الأو سط) في كتابه "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس" قبل القرن السادس الهجري. راجع المصدر.ج1,ص298-300 .القاهرة: الدار المصرية للتاليف والترجمة.1966.

68 – الغبريني، عنوان الدراية .. برامج مشيخة المؤلف، ص 307 [1]

69- وهونفس التصنيف الّذي اعتمده فيما بعد ابن خلدون,حينما فرّق بين نوعين من العلوم, أحدهما طبيعي يهتدي إليه الإنسان بفكره, وصنف نقلي يأخذه عمّن وضعه "والأو ل هوالعلوم الحكمية الفلسفية, وهي الّتي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره (..) والثاني هوالعلوم النقلية الوضعية وهي كلّها مستندة إلى الخبر عن الواضع, ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع.."المقدمة, ج1,ص 345 .

70- الغبريني، المصدر، ص 310

71- الغبريني, المصدر,ص307 .وهوالقائل: "وجملة العلوم التي أحتاج إلى ذكرها في هذا الموضع تحتمل الدراية."

72- لقد تمّ الحديث في الفصل الخاص بـ "ميلاد العلوم الإسلامية", أن علوما عديدة ومن بينها علمي الفقه والعربية,قد خضعت أثناء تطورها إلى الأبحاث المنطقية والفلسفية. وخاصة في مجال الفقه العملي (العاملات) والنحو..

73- الغبريني، المصدر، ص 308 .

74- المصدر، ص 308

75- المصدر، ص 317

76- طُبع "البرنامج المشيخة" ملحقا بكتاب (عنوان الدّراية) لأو ل مرّة سنة 1910م/1328هـ بالمطبعة الثعالبية بالجزائر، بعناية المرحوم محمد بن أبي الشنب، وأعيد طبعه سنة 1981، عن المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، "محققا" من طرف رابح بونار.

ببيليوغرافيا حول الشيخ بوعمامة.

د.خليفي عبد القادر

اكتسب الشيخ بوعمامة, زعيم مقاومة 1881, مكانة متميزة في الكتابات الفرنسية والجزائرية والمغربية المعاصرة, ذلك أنه أثر تأثيراً بائناً في تاريخ الجزائر التي كانت لها علاقات خاصة بهذا البلد أو ذاك. فقد أعلن المقاومة سنة 1881 ضد الاستعمار الفرنسي في المنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر, واستمرت حركته نشيطة حتى مطلع القرن العشرين, وإلى وفاته سنة 1908. فقد التجأ الشيخ إلى بلدة فكيك المغربية مرتين (سنة1882-1883 ثم سنة 1900 إلى سنة 1902), واستقر نهائيا في الشمال الشرقي المغربي بعد انضمامه إلى ثورة الجيلالي الزرهوني المعروف بـ "بوحمارة"/الروقي, ووقوفه إلى جانبه في الحرب التي أعلنها ضد السلطان المغربي عبد العزيز, وبذلك دخل التاريخ المغربي المعاصر.

ويمكن تقسيم هذه الكتابات زمنيا إلى قسمين: كتابات في العهد الاستعماري وكتابات في عهد الاستقلال. وهي إما كتابات في الصحف والمجلات أو كتابات عن طريق التقارير والرسائل أو كتابات تاريخية.

-في العهد الاستعماري-

تتمثل مصادر هذه المقاومة خلال العهد الاستعماري في الصحف والمجلات وفي التقارير والرسائل وفي العديد من الكتابات التاريخية الفرنسية بخاصة.

أ- فأما الكتابات في الصحف فتشمل مختلف الجرائد الفرنسية في فرنسا والجزائر, ذلك أن حدث

***- أستاذ محاضر في التاريخ الحديث والمعاصر ,قسم التاريخ, جامعة وهران.**